الإسلاميون والمستقبل

رؤية في تخطي الحواجز

الباب الخامس

أولوية تطوير الأداء الاجتماعي

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

العمل الاجتماعي .. مستقبل جديد للإسلاميين

الصورة الرائجة للدعوة الإسلامية هي إما الدعوة الدينية البحتة أو الدعوة الدينية المقترنة بالخطاب السياسي الذي قد يقل فيعد مقبولاً أو يزيد فتختفي معه الدعوة الدينية أو تكاد. والعمل السياسي أساسًا يعتمد على الإكثار من الكلام غير المقترن بالعمل والحركة.

وفي مقابل هذه الصورة نجد الفاعلية في العديد من الجمعيات الإسلامية التي اختارت الدعوة الدينية مقترنة بالعمل الاجتماعي.

وإذا كانت الحركة الإسلامية المصرية قد ركزت على الخطاب السياسي في العقود السابقة، فإنه صار لزامًا عليها أن توثق علاقاتها بالشارع المصري بصورة أكبر وأكثر متانة، ولن يكون ذلك إلا بالمزيد من العمل الاجتماعي، من خلال المشروعات الاجتماعية المبتكرة التي تقدم خدماتها للمواطن المصري العادي، فتسهم في التخفيف من الأثقال التي ينوء بحملها، خاصة مع تسارع وتيرة برامج الخصخصة، ونمو الاحتكارات والرأسمالية المتوحشة، وتراجع دعم الدولة للفقراء، وبيع القطاع العام، مما خلف معه أزمات خطيرة ومتراكمة في المجتمع المصري كان أبرز تجلياتها اتساع مساحة الفقر وإضافة ملايين جدد من المصريين إلى قائمة الفقراء.

الظروف مواتية أمام الإسلاميين كي يدخلوا ميدان العمل الاجتماعي التطوعي من خلال الخدمات الصحية والتعليمية وبرامج الكفالات وتزويج اليتيمات ورعاية الأرامل وإنشاء مشروعات اجتماعية إنتاجية لقطاع من الفقراء المعدمين .. إلخ.

والإسلاميون لن يبدءوا من الفراغ في هذا العمل الاجتماعي، فأمامهم خبرة «الجمعية الشرعية» التي استطاعت أن تقدم خدمة صحية راقية بأسعار رمزية استفاد منها ملايين المصريين، ولاقت هذه الخدمة الثناء والمصداقية حتى إن هيئة التأمين الصحي أصبحت ترسل حالات لمستشفيات الجمعية الشرعية للعلاج، لثقتها في الخدمة التي تقدمها. أما مشروع كفالة الطفل اليتيم الذي تنفذه الجمعية فيمكن اعتباره من أهم وأكفأ البرامج الاجتماعية التي تنفذ في مصر، وتتعدى كفاءته كفاءة ما تقدمه وزارة الشئون الاجتماعية من برامج وخدمات. أما رعاية اليتيمات وفتح مشاغل لهن ثم تزويجهن، فهو مشروع متميز ونموذج يحتذى، يضاف إليه مشروع الرعاية التعليمية والصحية للأيتام.

الغريب أن مشروعات «الجمعية الشرعية» الاجتماعية وراءها رجل واحد فقط، هو الرجل الفاضل الحاج عبده مصطفى، أحد رجالات الجمعية وأحد قادتها، وهو ثري سخر ثراءه وفكره لخدمة الإسلام والمسلمين، فكيف سيكون حال الحركة الإسلامية لو سخرت جزءًا من طاقتها وركزت في أفكارها لابتكار برامج خدمية للصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية بمختلف جوانبها؟

المؤكد أن الحركة الإسلامية ستنجح أيما نجاح إذا دخلت مجال العمل الاجتماعي بتصميم وتركيز، لأنها تضم كوادر على درجة عالية من الإخلاص والتفاني ونكران الذات والكفاءة العلمية والتفكير المنظم المبدع والثقافة العالية، وكل ذلك من شأنه أن ينتج أفكارًا مبتكرة ومبدعة تسهم من ناحية في خدمة الناس والتخفيف عنهم، وتسهم من ناحية أخرى في تجذر علاقة الحركة الإسلامية بمجتمعها، من أجل أن يحتضنها هذا المجتمع بشكل أفضل وأكبر.

ويجب أن يكون واضحًا في هذا الصدد أن العمل الاجتماعي الذي ندعو الحركة

الإسلامية إلى الاضطلاع به، ليس أسلوبًا نفعيًا انتهازيًا برجماتيًا من أجل تحسين صورة الحركة في الشارع، ولكنه عمل مبدئي مخلص لوجه الله ثم خدمة للوطن والأهل والمسلمين جميعًا، وامتدادًا لمسيرة الأمة التي طالما أدارت شئونها بالعمل الخيري التطوعي.

ويجب أن يكون مفهومًا أيضًا أن هذا العمل الاجتماعي النبيل، لا تقوم به الحركة الإسلامية من أجل أن يتم إنجاح مرشحيها في الانتخابات، وإنما هو عمل ثابت واستراتيجية دائمة للحركة الإسلامية، بصرف النظر عن مشاركتها في العمل السياسي والانتخابات أو عدم مشاركتها.

ولقد لفت نظري في السنوات الأخيرة ذلك الحجم الكبير من العمل الاجتماعي الخيري التطوعي الذي تقوم به سيدات فضليات بشكل فردي، ودون تأسيس جمعيات أو التحرك من خلال أي عمل مؤسسي، لكن حجم العمل الذي يقمن به وحجم المساعدات التي يقدمنها كبير وعظيم. إحدى هؤلاء السيدات أدخلت شبكة المياه لإحدى قرى محافظة الجيزة، وحصلت على تبرعات وفرت من خلالها العديد من الشقق السكنية لمحتاجيها، وكانت توفر خدمات العلاج والعمليات الجراحية لعشرات المرضى شهريًا، ثم لثقة الناس فيها جمعت تبرعات أنشأت بها مستشفى لعلاج الحالات المرضية التي تصلها، فضلاً عن تزويج الفتيات الفقيرات واليتيمات المستمر بلا توقف، ثم تقديم القروض الحسنة للفقراء ... وسلسلة أخرى من الخدمات التي لا يمكن تصور أن سيدة واحدة تقوم بها.

سيدة فاضلة أخرى كان والدها طبيبًا مرموقًا وثريًا ورثت عنه الفيلا الفاخرة بذلك الحي المتميز، وهي خريجة الجامعة الأمريكية، وعملت براتب ضخم في إحدى شركات البترول كمسئولة مهمة، إلا أنها استقالت بعدما كبر أبناؤها وسافروا، فقررت أن تتاجر مع الله وأن تتفرغ للعمل الخيري، وبلا تأسيس جمعية

خيرية استطاعت هذه السيدة أن تملأ حي المعادي عملاً وخدمة، ويكفي أن نأخذ مؤشرًا واحدًا نقيس به حجم ما تقوم به، وهو أنه أثناء العدوان الصهيوني على غزة مطلع يناير ٢٠٠٩م، وعندما أعلنت الحكومة المصرية عن فتح معبر رفح، استطاعت هذه السيدة تجهيز أربع شاحنات محملة بالبطاطين والأغذية والأدوية والملابس خلال يومين اثنين فقط، وفي اليوم الثالث كانت هذه الشاحنات رابضة بالقرب من المعبر تنتظر الإذن بالدخول.

سيدة ثالثة تقول: إنها وجدت في نفسها الزهد في الشهرة والكلام الكثير ووجدت نفسها مشدودة نحو العمل لأنها بطبعها لا تجيد كثرة الكلام ولا تحبه. وخدمة الإسلام ليست بالصياح والمعارك السياسية ولكن بالفعل الإيجابي وتحبيب الناس البسطاء في الإسلام. فالبسطاء يعانون من مشاكل كثيرة قد تزعزع إيمانهم بالله وقد تجعلهم يستجيبون للمبشرين ويتركون الإسلام كلية كما يحدث في إندونيسيا وجنوب شرق آسيا. ومجتمعنا مليء بالأغنياء ولكن الصلة مقطوعة بين الطرفين لأسباب عديدة. والمفترض أن تقوم مؤسسات المجتمع بهذا العمل التكافلي الكبير ولكنها مقصرة في هذا الدور لأسباب عديدة أيضًا، والعمل التطوعي الأهلي أكثر نجاحًا في هذا الخصوص.

وتقول هذه السيدة: إن هناك مساحات غائبة عن خريطة الدعوة الإسلامية هذه الأيام، وأنا اخترت حيزًا بسيطًا لأعمل من خلاله، ولقد كان ذلك بفضل الله ثم بتوجيه من والدي وهو خبير في التربية والتعليم. فقد كان له دائمًا دور كبير في تقويم منطلقاتي الفكرية وحمايتي من الشطط والدخول في خلافات فقهية. ولذا فإنني أركز على محورين: الأول إعطاء دروس التجويد وتعليم النساء كيفية ترتيل القرآن ونطقه صحيحًا بعد أن درسته في المعاهد المتخصصة.. فالكثيرون يعتقدون أنهم

ماداموا يأخذون ثوابًا على التعتعة فلا داعي للحرص على القراءة الصحيحة. إن الله يأمرنا أن نرتل القرآن ترتيلاً لأن ذلك يجعلنا أقدر على فهم آياته فهمًا مستقيمًا. أما الجانب العملي في الدعوة فهو أن كثيرًا من الأثرياء والمقتدرين فيهم من الخير الكثير ولكنهم لا يجدون من يستحث نوازع الخير في نفوسهم، كما أنهم لا يجهدون أنفسهم في تتبع أحوال ونوعيات المحتاجين. ومن خلال عملي كباحثة اجتماعية أحاول أن أجد طريقًا أوصل من خلاله القادر بالمحتاج، فكثير من المجتمعات الفقيرة الآن وذوي الحاجات- نتيجة للتغيرات الاجتماعية ونظام العمران الحديث- منفصلة تمامًا عن المجتمعات المقتدرة اقتصاديًا (الأحياء الراقية). والطرفان في حاجة إلى بعضهما... فالغني أيضًا في حاجة إلى الفقير كي يطهر ماله ويمنح الحق المعلوم الذي أوجبه الله تعالى للسائل والمحروم. ودوري فقط هو إيجاد قنوات الاتصال والتلاحم بين المجتمع المسلم عملاً بقول رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» رواه البخاري ومسلم.

تضيف هذه السيدة الفاضلة: في البداية ركزت عملي على الملاجئ ودور الأيتام فأذهب إليهم لأتعرف على ما يحتاجونه من ملابس وأدوات وأجهزة...إلخ، وأنتقل بين المصانع التي تنتج الأجهزة التعويضية للمعاقين وكذلك مصانع الملابس، وأستحث فيهم جوانب الخير، فمنهم من كان يعطيني ومنهم من يردني، ولكنني لم أيأس وكنت أصبر وأعتمد على الله طالما أنني لا أريد شيئًا لنفسي، فأنا ولله الحمد ميسورة الحال، وحينما لا يطلب الإنسان شيئًا لنفسه ويخلص لله ويمشي في قضاء حاجات الناس، فإن الله يفتح له القلوب المغلقة.

وشيئًا فشيئًا عرفني هؤلاء الناس ووثقوا فيّ وأصبحوا يعطوني كل ما أريد،

لأنهم يعلمون جيدًا ومتأكدون أنه يصل للمحتاجين. ثم تطور الأمر بعد ذلك فمن خلال ترددي على المساجد لإعطاء دروس التجويد تعرفت على كثير من السيدات ومنهم الكثير من الثريات اللاتي أحببن عمل الخير، ولما عرفنني وجدن فيّ ضالتهن فأعطوني كثيرًا من أموالهن لتوزيعها على المحتاجين. وهكذا تكونت لدّي شبكة من المعارف ومن أهل الخير والأثرياء ومن الذين يدلونني على الفقراء والمحتاجين. وأصبح لدّي كشوف كاملة وأجندات بها أسماء وعناوين وأرقام هواتف الأثرياء والفقراء.

وهكذا، أصبحنا نأخذ من هذا لنعطي ذاك... وهناك الكثير من أهل الخير تخصصوا مثلاً في علاج المرضى الفقراء الذي لا يستطيعون تحمل نفقات العلاج وإجراء العمليات الجراحية... المهم نستوثق من مدى هذه الحاجة ثم نوصل هذا الفقير المريض بأحد هؤلاء الكرام. كما أصبحنا نعطي قروضًا حسنة للمحتاجين يسددونها وقتما تسمح لهم الظروف، ومن لا يستطيع السداد أسقطنا عنه جزءًا من القرض. وأحيانًا يطلب منا صيادلة طيبون روشتات العلاج الغالية والتي لا يستطيع الناس شراءها ويقومون بتوفير هذه الأدوية.

سيدة رابعة من هؤلاء السيدات الفضليات العاملات في المجال الاجتماعي الخيري التطوعي تقول إنها قرأت كثيرًا عن الانتشار الكبير الذي حققته المنظمات التبشيرية المتعددة المذاهب على مستوى العالم، وبالذات في البلاد النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، وأن ذلك كان دائمًا مرتبطًا بإنشاء مؤسسات اجتماعية شاملة تقدم مجموعة، واسعة ومتنوعة من الخدمات التعليمية والصحية والمادية إلى المحتاجين.

فالجامعات ومعاهد التعليم الكاثوليكية منتشرة من الفلبين إلى أمريكا الجنوبية وفي أوساط السكان الهنود، والمستشفيات البروتستانتية نجدها في بلدان إفريقيا

الوسطى والجنوبية، ومعاهد تخريج الحرفيين وعيادات رعاية الأمومة وورش صناعة الأطراف التعويضية والمصانع الزراعية... كل هذه المنشآت من السمات ومن الأساليب التي تتبعها الكنائس الغربية والشرقية في العديد من البلدان النامية.

ويستخدم المبشرون المرأة في تقديم الخدمات العلاجية والاجتماعية للنساء الفقيرات في هذه البلدان مما يجعلهم يصلون للجماهير العريضة، وقد نتج عن هذا الأسلوب نجاح في نشر دعوة وأفكار وعقيدة المبشرين.

تقول هذه السيدة: إنها بعد أن قرأت كل ذلك أدركت أنها لا بد أن تستفيد من تجربة هؤلاء المبشرين، وأدركت أن العمل الاجتماعي مهم جدًا في الدعوة الإسلامية، وأدركت أيضًا أن المرأة العربية لا تقل عن نساء أوروبا في هذا المجال الاجتماعي المهم. فالظروف هي التي توجد العمل النسائي التطوعي وتشجعه، ثم تتراكم بعد ذلك الخبرة. وهناك تجارب عملية للعديد من الجمعيات النسائية العربية على مستوى بعض البلدان ولهن خبرات تاريخية مثل فلسطين ولبنان والكويت والسودان، والنساء في هذه البلدان ينطلقن من مبدأ عقائدي في الأساس ثم من خلال المحن العامة تتبلور أدوارهن في العمل الاجتماعي والخدمة الطبية. فالمحن والكوارث تعمل على إيجاد مجموعات ميدانية مدربة ومنظمة ويجب أن يكون هناك تضافر وتعاون وتبادل خبرات بين هذه الجمعيات على مستوى كافة البلدان العربية والإسلامية. ونحن لا نقل بدرجة أو بأخرى عن الجمعيات التطوعية الأوروبية، ولكن المرأة عندنا تحتاج إلى بعض الجرأة والثقة بالنفس والتشجيع من المجتمع والاعتراف بنشاطها ثم تدريبها.

وتضيف هذه السيدة: إن العمل الدعوي كلما اعتمد على مفاهيم لفظية فقط فقد فاعليته ومستقبله وأصبح كلامًا في كلام. فالمسلم البسيط مطحون في مشكلاته

اليومية ودخله لا يكاد يكفي مصروفات تعليم وعلاج وملبس ومسكن.

وهو في هذه الحالة غير مؤهل لاستقبال الرسالة الدعوية الكلامية، أما إذا وصلنا إليه وقدمنا له خدمة تخفف عن مشكلاته، كأن نعالجه ونعالج أبناءه أو نقدم له مصاريف التعليم أو جزءًا منها، ساعتها سيشعر بدفء اليد التي تمتد إليه وستزيد ثقته في دينه حينما يرى الذين يمدون له يد المساعدة هم أخوة له في الدين.

لكننا نلاحظ أن العكس هو الذي يحدث هذه الأيام، فكثير ممن يتصدون للدعوة يخاطبون الناس بأسلوب متشدد ويصّعبون عليهم أمر هذا الدين السهل البسيط، بل قد يفسقونهم ويكفرونهم. وهكذا أصبحوا عبئًا على الدعوة بدلاً من أن يصبحوا خدامًا لها. إن كثيرًا من هؤلاء يخاطبون الناس بحدة وعنف وتختفي منهم المودة والكلمة الطيبة.

إن العطف على الصغير ومد يد المساعدة للكبير والانخراط في همومه ودعوته بالحسنى وتقديم النموذج العملي للدعوة .. كل ذلك غائب عن خريطة اهتمام الكثيرين. إن الكلام سهل جدًا أما العمل بمساعدة المسلمين وخدمتهم والسهر على حل مشكلاتهم فصعب، والله سبحانه وتعالى لا يوفق إلى ذلك إلا المخلصين من عباده.

فهل بعد أن عرضنا لهذه النماذج الواقعية الحية، نأمل في أن نرى مؤسسات أهلية كبيرة يقوم بها إسلاميون مخلصون، كل منها يخدم منطقته، لنرى في كل حي مؤسسة اجتماعية يشرف عليها إسلاميون على تقوى وإخلاص، يثق فيهم الناس، ثم يكون عندهم إلمام كامل بأحوال الفقراء في منطقتهم، ثم يتصلون بالأغنياء فيقدمون العلاج للمريض، والمرتب الشهري للمحتاج حتى تزول حاجته، ويتكفلون باليتيم حتى ينهي تعليمه ويصبح قادرًا على الكسب؟

الفصل الثاني

ليس اختراقًا للمجتمع، ولكن..

نضرب في هذه السطور المثل بالعمل الاجتماعي لحركة المقاومة الإسلامية «حماس» والذي جعل لها كل هذا التجذر والشعبية في الشارع الفلسطيني.

وقد بدأ الدور الاجتماعي في استراتيجية حركة «حماس»، بدءًا بمرحلة ما قبل تأسيس الحركة ذاتها قبل سنوات طويلة، وصولاً إلى المرحلة التي غدت فيها الحركة صاحبة القول الفصل في الكثير من القضايا التي تهم الشارع الفلسطيني.

وكان الإسلاميون الفلسطينيون قد شرعوا في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، في إنشاء مؤسساتهم الجماهيرية، أبرزها: المجمع الإسلامي، الجمعية الإسلامية، الجامعة الإسلامية، دور القرآن الكريم، الكتلة الإسلامية في المعاهد العلمية والجامعات المحلية.

وإلى جانب هذه المؤسسات الكبيرة، أنشأ الإسلاميون رياضًا للأطفال والمدارس والمكتبات، وبنوكًا للدم والعيادات الصحية، ومراكز التعليم المهنية للنساء والنوادي الرياضية، وجمع التبرعات والصدقات لمساعدة المحتاجين، وتوسيع نشاطات المؤسسات الخيرية، وبناء عدد من المساجد بجانب المراكز التعليمية الإسلامية.

وتعد هذه المؤسسات النواة التنظيمية الأولى للحركة الإسلامية في فلسطين بداية فترة السبعينيات، وأدى الوجود العلني لها ودورها الفاعل في النشاطات الثقافية والاجتماعية إلى زيادة نفوذها.

وأثبتت السنوات التي تلت مرحلة بناء المؤسسات، أن تلك الخطوات كانت عملية ثورية وتغييرًا جوهريًا في نمط التفكير لدى قيادة الإسلاميين الفلسطينيين، فلم يكن سهلاً الخروج من قوقعة الانعزال، والإحساس بتآمر جميع الأطراف عليهم بعد سنوات من الملاحقة والضعف والدعاية ضدهم وضد أهدافهم.

وكانت عملية جريئة أن يخرج الإسلاميون للشارع الفلسطيني، يخوضون العمل الشعبي والاجتماعي، ويتعاملون مع الناس جميعًا على اختلاف أفكارهم، وبالتالي استفادوا من تجربة المؤسسات فائدة عظيمة، حيث وفرت نمطًا وشكلاً من أشكال الحماية لنشاطاتهم في الأراضي المحتلة، وغدوا يمارسون كل فعالياتهم من خلالها.

وتعددت نشاطات تلك المؤسسات من تنظيم المحاضرات، إقامة المكتبات الإسلامية، المعرض السنوي للكتاب الإسلامي، إعادة طبع بعض الكتب الإسلامية، إنشاء رياض الأطفال، تأسيس مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، عقد دورات تقوية للطلاب في المساجد، إقامة جان لجمع الزكاة والصدقات، تأسيس صندوق لمساعدة الطالب الفقير، تقديم مساعدات طارئة للعائلات التي تتعرض لنكبات .. كنسف ابيوت .. أو اعتقال العائل الوحيد للأسرة .. ومن تعرضت بيوتهم للأضرار الجسيمة، مما ترك أثرًا طيبًا في نفوس الناس.

ثم قامت حركة لمقاومة الإسلامية «حماس» – بعد الإعلان عن تأسيسها أواخر الثمانينات– بنشاطات اجتماعية واسعة، انعكست آثارها على أوساط كبيرة من أبناء الشعب الفلسطيني، حيث انتشرت المراكز الطبية، والجمعيات الخيرية، ولجان الزكاة، التي جعلت صورة الإسلاميين في أذهان الناس قريبة ومحببة، وأعطت المثل للقدوة الحسنة وعدم المحاباة، في ظل شيوع ثقافة «الاستنفاع» في بعض الأوساط الفلسطينية.

وهذا ما جعل الكثير من الفلسطينيين يجدون في المؤسسات الإسلامية، متنفسًا للحصول على الخدمة والرعاية غير الممزوجة بالفئوية والتناحر السياسي، والاستعلاء العقائدي، والتكسب والارتزاق المستشري والملازم للكثير من المؤسسات الفلسطينية. ومن ثم أعطى الإسلاميون، ممثلين تحديدًا في حركة «حماس»، بمؤسساتهم الخدمية مثالاً حيًّا على ترجمة الفكر لعمل ملتزم، واستطاعوا اختراق المجتمع الفلسطيني والتأثير في أعرض قطاعاته وأوسعها، خاصة الشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى وما دونهم، في حين ظهر فشل الكثير من المؤسسات الخدمية التابعة للقوى التابعة لمنظمة التحرير، وشاع بين الناس التندر باستخدامها واجهات للتكسب الشخصي والثراء غير المشروع.

وبقدر ما حققت هذه المؤسسات مكاسب جمة للإسلاميين، اتضحت أزمة القوى السياسية الأخرى التي لم يكن بمقدورها إيجاد مؤسسات جماهيرية خاصة بها، وكما نجح الإسلاميون في استخدام مؤسساتهم من أجل أهدافهم، فقد نجحت مؤسساتهم في تحقيق أهدافها، مقارنة بالتنظيمات العلمانية والقومية واليسارية.

ويمكن حصر الفوائد التي جنتها حركة «حماس» من العمل الاجتماعي في الآتي:

- تمكين العمل المؤسسي للحركة من التطور وتراكم الخبرات.

- مساعدة الحركة على الاحتكاك بالجماهير، والعمل لكسبها، واستقطاب أجزاء مهمة منها.

- جعل الحركة بمنأى عن كثير من المشكلات التي تفتك بالتنظيمات المعزولة الجامدة.

ولعل أفضل ما يوضح تلك المسألة نظرية الشيخ الشهيد أحمد ياسين فيما أطلق عليه «الماء الجاري والماء الراكد»، وكان يقول: نحن حركة إما أن نكون كالماء الراكد

يجمدنا الخوف، ولا نتحرك بحجة المحافظة على أمن التنظيم، وحينها نتعرض كالماء للعفن والأمراض، وإما أن نتحرك كالماء الجاري والمتجدد فنتطور وننتشر، وكان بذلك يرد على أصوات محافظة تتذرع بالمحافظة على سلامة الدعوة، بينما كان رأيه أن سلامة الدعوة تكمن في حركتها وظهورها.

- حافظت المؤسسات على الدور الخيري والخدماتي بالدرجة الأولى، تاركة مجال التطور التنظيمي والجماهيري للحركة، يسير بمعزل عنها، ودون الارتباط الواضح بها، رغم دعمها ومساندتها الطبيعية لهذا التطور، وبينما كان المجمع الإسلامي ثم الجامعة الإسلامية، نقطة الانطلاق بالنسبة للجيل الجديد النشيط من عناصر الحركة، كانت المساجد نقطة الانطلاق والدعوة، مستفيدة من الفرص التي كانت توفرها الأوقاف للجيل الجديد من نشطائها، في الوعظ والخطب، واستخدام المساجد كمقار تجمع للشبيبة وطلبة المدارس، ممن كانت فرص التجمع والنشاط محدودة أمامهم.

- لم تكن الحركة تمتلك بعد، جهازًا بيروقراطيًا كبيرًا أو معقدًا، كالذي امتلكته منظمة التحرير، ومن ثم فإن أوجه إنفاق أموالها كانت محدودة، وبات من المعروف أن الإخوان وقيادتهم، يتسمون بالتواضع في أساليب إنفاقهم، وأبعد ما يكونون عن مظاهر البذخ أو الإسراف والفساد المالي.

ويمكن تحديد أوجه الاستفادة للحركة من تجربة المؤسسات الاجتماعية على المستويين، التنظيمي الداخلي، والخارجي .. كالآتي:

أولا: على المستوى التنظيمي الداخلي، أعطى العمل الشعبي المؤسساتي فرصة ذهبية لحركة حماس في عدة مجالات:

- أتاح الفرصة للحركة للاحتكاك بالناس، والتعرف إليهم، واختيار العناصر

الملائمة، وإعدادها وتهيئتها، مما يسر على التنظيم زيادة أعضائه كمًا وكيفًا.

- وفر الإمكانية للعناصر القيادية والكفؤة، أن تجد لها أدوارًا فعالة تكشف عن بعض قدراتها ومواهبها، وتساعد على تطويرها، وساعد على إبراز قيادات جديدة، أتاح لها الفرصة للمشاركة المناسبة، وأصبح المجال مفتوحًا لكل أصحاب المواهب والطاقات والقدرات القيادية أن تجد لها دورًا داخل التنظيم.

- وفر إحساسًا بالرضا للعاملين، فهم يعملون لتحقيق أهداف مرحلية ملموسة يعلمونها، ورغم العقبات التي اعترضتهم، فقد كانوا يشعرون بالانتصار لتحقيق أهدافهم أو بعضها، ويسعون لتحقيق أهداف جديدة.

- أصبحت هذه المؤسسات والجمعيات والمدارس، بعد فترة من تأسيسها تنتج (الخامة) التي تشكل جماهير التجمعات الإسلامية هذه الأيام، وأصبح بالإمكان متابعة الطلاب المنتمين للكتل الإسلامية، وربطهم بالتنظيم، بعد أن ينفصلوا من عضوية التنظيم بعد تخرجهم.

- حقق إنجازًا تنظيميًا فريدًا، تمثل في انعدام مشكلة الفتور التي تعانيها العديد من التنظيمات، لأن العمل المؤسساتي يجعل الأعمال أكثر من الأوقات، ولا تصبح المواهب مشكلة لأصحابها، لأن الحركة حينذاك ستكون بحاجة للطاقات والعناصر القيادية اللازمة، لتلبية حاجاتها في قيادات المناطق والمؤسسات والنقابات والكتل الطلابية وغير ذلك.

- كان الخروج للعمل العام وبناء المؤسسات نعمة على الصف التنظيمي الداخلي لحركة حماس، ومحركًا له باتجاه التطوير واستفزاز الطاقات، وأصبح مجلس إدارة مؤسسة وجمعية وكتلة طلابية ولجنة زكاة، يجد لنفسه برنامجًا حافلاً وأهدافًا متعددة ورضا نفس في أنه يقدم خدمة لدينه ووطنه وشعبه وحركته.

- تعد هذه المؤسسات بالنسبة لحركة حماس، الحاضنات التي ينتج فيها الفرد المؤهل لأن يتسم بالصفات المطلوبة، لذلك حرصت الحركة على رعاية هذه المؤسسات وحمايتها وإبقائها على مسافة منها، لا تتيح اتهامها بالتعاطي بالعمل السياسي والتنظيمي بشكله المباشر، وما دامت هذه المؤسسات على هذه الأهمية بالنسبة للحركة، فقد كافحت من أجل التمسك بها، والإبقاء عليها وتنميتها وحمايتها من الآخر، أيًا كان.

◆◆◆

obeikan.com